فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ١٧ —

سرّ وادي بوسكومب

كنت يوماً اتناول طعام الصباح مع زوجتي فاذا بالخادمة قد دخلت علينا وفي يدها رسالة برقية فتناولتها حالاً فاذا هي من شرلوك هولمز يقول فيها « عزيزي وطسن - هل يمكنك الاستغناء عن يومين من وقتك فقد طُلبت برسالة برقية الى غربي بريطانيا لاجل مأساة وادي بوسكومب ويسرّني جدًّا ان ترافقني فاذا امكنك المجيء فكن في محطة بادنجتون الساعة الحادية عشرة » . وكان قد بقي الى الموعد نصف ساعة فنهضت للحال وفي اقل من ربع ساعة جهزت حقيبتي الجلدية وركبت عربةً اوصلتني الى محطة بادنجتون واذا شرلوك يتمشى على الرصيف فلما رآني تقدم فصافحني وكان القطار على وشك المسير فركبنا . وكان شرلوك قد استحصب رزمة كبيرة من الاوراق والجرائد فاخذ يقرأها ويدون في مذكرتهِ ما يتعلق بغرضهِ منها ولما انتهى نظر اليَّ فقال هل سمعت شيئاً عن الحادثة التي نحن بصددها . قلت كلا فاني لم اقرأ الجرائد منذ بضعة ايام . قال يظهر ان جرائد لندن لم يبلغها الخبر بالتفصيل وقد كنت ابحث في هذه الرزمة منها فلم استطع معرفة شيء الا ان الحادث من الامور البسيطة وحسب المعتاد سيكون في غاية الاشكال . قلت كيف يكون بسيطاً ومشكلاً في وقتٍ واحد . قال قد اخبرتك مراراً ان اشد الحوادث اشكالاً وغموضاً هي التي ترى بسيطة الظواهر . قلت وهل في الحادثة قتل . قال لا استطيع

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الحكم قبل ان ارى بنفسي فاسمع ما علمتهُ حتى الآن

ان وادي بوسكومب ناحية لا تبعد كثيراً عن روس في هيرفردشير واعظم متملك في تلك الناحية رجل يدعى المستر جون ترنر كسب ثروتهُ في اوستراليا ثم عاد الى بلادهِ منذ بضع سنوات فاشترى اكثر بناياتها واراضيها . وان احدى مزارعهِ واسمها هاذرلي استأجرها منهُ رجل يدعى شارلس ماكرثي كان في اوستراليا ايضاً . وكان لماكرثي ولد وحيد في الثامنة عشرة من عمرهِ ولترنر ابنة في مثل ذلك العمر ولم يكن لاحدهما زوجة حية .وعلمت انهما كانا يعيشان عيشة انفرادية فلا يخالطان الأُسر الانكليزية المجاورة سوى ان ماكرثي وابنهُ كانا مغرمين بالصيد . وحدث في الثالث من شهر يونيو اي يوم الاثنين الماضي ان ماكرثي خرج من منزلهِ في الساعة الثالثة بعد الظهر ومشى الى بحيرة صغيرة في بوسكومب تتجمع فيها مياه الجداول المتدفقة في الوادي . وكان قد خرج في الصباح مع خادمهِ الى روس وقال لهُ انهُ مضطر الى الرجوع عاجلاً اذ عليهِ مواجهة مهمة في الساعة الثالثة وتلك المواجهة هي التي ذهب اليها ولم يعد منها . اما المسافة من منزلهِ الى البحيرة فنحو ربع ميل وقد قابلهُ في طريقهِ امرأة لم يُذكر اسمها ورجل يدعى وليم كرودر من خدم المستر ترنر وقد قالا انهما رأياهُ سائراً وحدهُ بسرعة . اما الرجل فقال انهُ بعد مرورهِ ببضع دقائق رأى ابن المستر ماكرثي يتبع اباهُ وفي يدهِ بندقيتهُ . وقد نُظر الوالد وابنهُ ايضاً عند البحيرة مرة اخرى بعد ذلك فان البحيرة المذكورة كانت تحيط بها الزهور والاعشاب وكانت فتاةٌ في الرابعة عشرة من عمرها تدعى موران وهي ابنة ناظر الاملاك قد ذهبت الى تلك الناحية لتجمع باقةً من الزهور فرأت على ضفة البحيرة ماكرثي وابنهُ وظهر لها انهما يتخاصمان وسمعت الاب يشتم ابنهُ ورأت الابن قد رفع يدهُ كانهُ يريد ان يضرب اباهُ فاخافها المنظر واسرعت ركضاً الى البيت فاخبرت والدتها انها رأت ماكرثي وابنهُ يتخاصمان وربما اقتتلا . ولم تكد تتم كلامها لوالدتها حتى وصل ابن ماكرثي مسرعاً يقول انهُ وجد اباهُ ميتاً في الغابة وطلب المساعدة وكان في حالة قلقٍ شديد وهو بدون بندقيتهِ

ولا قبعتهِ وعلى كمهِ الايمن اثر دم جديد . فلما خرج اصحاب المنزل وتبعوهُ وصلوا الى حيث وجدوا الاب ملقىً على العشب بجانب البحيرة وعلى رأسهِ اثر ضرب شديد يشبه انهُ كان بخشب بندقية ابنهِ التي وجدوها ملقاة على بضع خطوات منهُ . فللحال القي القبض على الابن بتهمة القتل تعمداً ثم اخذوهُ في يوم الاربعآء الى روس للمحاكمة وتأجلت الجلسة الى الاسبوع القادم

ولما اتمَّ شرلوك حديثهُ قلت لا اظن انهُ وجد قط بينات تدل على القاتل اوضح مما ارى في هذه الحادثة . فتبسم شرلوك وقال ان البينات الواضحة كثيراً ما تكون خداعة يا وطسن ولا انكر ان الحالة كما سمعتها تقضي حتماً بان الابن هو القاتل ولكنهُ يوجد كثيرون من تلك الجيرة وخصوصاً ابنة المستر ترنر يعتقدون برآءتهُ وان الابنة المذكورة قد استدعت لسترايد مفتش الشحنة لاحقاق الحق ولما لم يستطع شيئاً حوَّل الامر اليَّ ولذلك جئت واياك نجتاز خمسين ميلاً في الساعة لعلنا نخلص الفتى البريء ان امكن . فقلت اخشى ان تكون الادلة اوضح مما يمكنك ان تغالطها . فضحك شرلوك حتى بانت نواجذهُ وقال ان شدة الخطأ تكون في الغالب في الادلة الواضحة ومع ذلك فانا احب ان افحص بنفسي ما اؤكد ان لسترايد لم يرَهُ . قلت وما الذي يؤخذ من اقرار الفتى . قال لم يكن فيهِ ما يساعدهُ الا القليل وهو منشور في الجريدة فخذ واقرأهُ . فاخذت الجريدة منهُ وجعلت اقرأ بمزيد الانتباه وكان فيها ما يأتي

« استدعى مجلس التحقيق المستر جيمس بن ماكرثي الوحيد ولدى استنطاقهِ أجابَ - انني صرفت ثلاثة ايام بعيداً عن منزلي في بريستول ولم ارجع الا صباح يوم الاثنين الماضي في ٣ الشهر فلما بلغت البيت لم اجد والدي واخبرتني الخادمة انهُ ذهب الى روس ومعهُ خادمهُ . وبعد وصولي بقليل سمعت عجلات مركبتهِ فنظرت من النافذة واذا بوالدي قد ترجل واخذ يسير بسرعة ولكنني لم اعلم الى اية جهة ذهب . اما انا فاخذت بندقية الصيد وتوجهت قاصداً البحيرة حيث اعتدت ان اصيد الارانب البرية وفي طريقي قابلت وليم كرودر كما قال ولكنهُ اخطأ في

قولهِ انني كنت اتبع ابي لانهُ لم يخطر لي قط ان والدي سائر امامي في الطريق نفسها . ولما صرت على مسافة نحو مئة يرد من البحيرة سمعت صفيراً مخصوصاً كان علامة بين والدي وبيني فاسرعت الى الجهة التي سمعتهُ منها فوجدت والدي واقفاً قرب البحيرة ولكنهُ اظهر شدة الاستغراب من حضوري اليهِ وسألني بخشونة عما اوجب مجيئي الى ذلك المحل . ثم دار بيننا حديث افضى الى كلام عنيف وكاد ينتهي بنا الى الملاكمة لان والدي كان حادّ الطبع جدًّا . ولما رأيت ان سورة الغضب قد بلغت منهُ تركتهُ ورجعت الى مزرعة هاذرلي ولكنني لم ابتعد عنهُ الا نحو مئة يرد حتى سمعت ورآئي صراخاً مخيفاً فكررت راجعاً ولما وصلت وجدت والدي مطروحاً على الارض يلفظ روحهُ وقد شُقّ رأسهُ . فالقيت بندقيتي الى الارض واخذتهُ بين ذراعيَّ فنظر اليَّ يريد الكلام ولكنهُ لم يستطع وفاضت روحهُ فجثوت بجانبهِ بضع دقائق ثم اسرعت الى اقرب محل اطلب المساعدة وقصدت بيت ناظر املاك المستر ترنر لانهُ الاقرب . فسألهُ القاضي هل تكلم ابوك بشيء قبل وفاتهِ . قال تمتم ببعض كلمات لم افهم منها الا لفظة جرذ . فقال القاضي وماذا فهمت من ذلك قال لا شيء سوى اني ظننت ذلك من هذيان الموت . فقال القاضي وما هو الحديث الذي دار بينكما لما قابلتهُ في المرة الاولى . قال لا يمكنني اعادتهُ فانهُ خصوصي واوكد لكم ان ليس لهُ اقل دخل في المأساة التي حدثت بعدهُ . فقال القاضي يجب ان تعرفهُ المحكمة مهما كان واذا ابيت اعادتهُ اوقعت نفسك في اشد خطر . فقال مهما كان الخطر لا اراني استطيع ان ابوح بذلك الحديث . قال القاضي فهمت منك ان ذلك الصفير كان علامة خصوصية بينكما فكيف اعطى تلك العلامة وهو لم يرَك بعد ولا عرف انك رجعت من بريستول . قل هذا ما اجهلهُ انا ايضاً . قال القاضي ولما عدت الى ابيك بعد سماعك الصراخ المخيف هل رأيت شيئاً يستوجب الانتباه . قال كنت في غاية القلق والارتباك ومع ذلك فانني لما رجعت ورأيت والدي ملقى على الارض اتذكر انني رايت على مسافة منهُ شيئاً اشبه بسترة رمادية اللون ولكنني بعد ان جثوت بجانبهِ وقمت لاطلب المساعدة لم ارَ السترة واؤكد

انها اختفت حين كنت امام الجثة وظهري الى ناحيتها »

ولما انتهيت الى هنا طرحت الجريدة من يدي وقلت لا شك ان قاضي التحقيق لا يرحم الفتى لان اجوبتهُ كلها تدل على عدم برآءتهِ . فضحك شرلوك مرةً اخرى وقال ان قاضي التحقيق وانت يا وطسن من رأي واحد فانكما تأخذان ببعض الادلة دون بعض فقد نظرتما الى قول الفتى انهُ سمع والدهُ تكلم بالفاظ لم يفهم منها سوى لفظة جرذ وانهُ راى سترة رمادية اختفت بعد نهوضهِ فحملتما ذلك منهُ على الاختلاق ولكنهُ من الجهة الاخرى لما سئل عن سبب الخصام بينهُ و بين والدهِ امتنع من ذكرهِ بتةً فلو كان من ذوي الاختلاق كما ظننتما لما عجز ان يخترع لهُ سبباً يستجلب بهِ شفقة القاضي . اما انا فاني ساخالفكما وانظر الى هذه الحادثة من وجه آخر وساصدق كلام الولد غير انني لا احب ان اقول شيئاً الى ان نبلغ محل الحادثة

وعند الساعة الرابعة بلغنا محطة روس فوجدنا المفتش لستراید في انتظارنا فقادنا الى نزلٍ كان قد اعدّ لنا فيه غرفة لتناول الطعام وقال لشرلوك انني اعلم انك سريع الحركة لا يهمك التعب ولعلك تودّ ان تسير في الحال الى محل الحادثة فقد اعددت مركبة تقلنا الى هناك . فقال شرلوك اشكرك لاهتمامك ايها العزيز ولكنني لا اظن انني احتاج الى المركبة اليوم . فقال لستراید بتبسم اظنك قد فهمت حقيقة الامر من الجرائد وان الحادثة في غاية البساطة لا تزداد على البحث الا وضوحاً . ولكن ابنة المستر ترنر لا تزال تعتقد عكس ما نراهُ وقد اجبرتني على استدعآئك مع انني قلت لها انهُ لا يوجد شيء يمكنك ان تفعلهُ ولم افعلهُ انا ولكن . . . . ها هي عربتها قد وصلت الى هنا

ولم يكد لستراید يتم كلامهُ حتى وثبت من العربة فتاة من اجمل ما رأيت في حياتي وقد اعارها اضطرابها جمالاً فوق حسنها . فلما صارت بالقرب منا جعلت تنظر الينا حتى دلتها غريزتها النسآئية على شرلوك فقالت لهُ انني لاستبشر بحضورك يا مستر شرلوك هولمز وقد جئت لأسألك ان تبذل جهدك في هذه الحادثة ولا تعتقد الا ما اعتقدهُ من برآءة الفتى ما كرثي لانني اعرفهُ فقد ربينا معاً واختبرت

اخلاقهُ وخصالهُ . ولا انكر ان لهُ سقطات عديدة ولكنهُ رقيق القلب لا يحب اذية احد ولا يسمح لهُ قلبهُ الحنون ان يضر ذبابة فكيف يمكن ان توجه اليهِ تهمة قتل رجل هو والدهُ . فقال شرلوك خفف عنكِ يا سيدتي فسابذل جهدي وعسى ان اتمكن من تبرئتهِ . قالت انك قد علمت الحكاية فلا بد انك توصلت الى نتيجة أفلا تعتقد انهُ بريء . قال ذلك من المحتمل . فكادت الفتاة ترقص طرباً وقالت اشكر الله فانهُ يقوّي املي . فهز لستراید كتفهُ وقال اخشى ان يكون المستر شرلوك قد اسرع في ابداء رأيهِ . فقالت ولكنهُ مصيب لانني اعتقد تمام الاعتقاد ان جيمس بريء . اما خصامهُ مع والدهِ وامتناعهُ من ان يبوح بسبب الخصام امام قاضي التحقيق فلأن الامر يختص بي وقد اوجبت الحال ان اخبركم بهِ الآن فان جيمس تخاصم مراراً مع ابيهِ بسببي لان المستر ماكرثي كان يودّ كثيراً ان يقترن جيمس بي . ومع اني كنت احبهُ ويحبني اكثر من محبة شقيق لشقيقة فانهُ كان لا يزال صغيراً لا يعلم شيئاً من امور الحياة فلم يشأ ان يفعل شيئاً اقتحاماً ولهذا السبب كثر الخصام بينهما ولا اشك ان خصامهما الاخير كان للسبب عينهِ . اما والدي فكان ضد هذا الرأي ولم يكن احد يهمهُ هذا الاقتران الا المستر ماكرثي فقط . وكان شرلوك يسمع حديثها باهتمام فقال لها اشكركِ على هذا الاعتراف وهل يمكنني ان ارى والدكِ المستر ترنر غداً . قالت اخاف ان يمنعك طبيبهُ فان صحتهُ تاخرت كثيراً في هذه المدة ولا سيما بعد هذه الحادثة فهو في الفراش وقد قال الطبيب ان اعصابهُ كلها في حالة سيئة . والآن فقد صار من الواجب ان اعود الى البيت لاني اخشى ان يطلبني والدي فاستودعكم الله واسألهُ ان يوفق مسعاك يا سيدي العزيز . ولما قالت ذلك انحنت بلطف وخرجت الى مركبتها

ولما فصلت عنا قال لستراید انني خجِلٌ عنك يا شرلوك فلماذا تعلق آمالاً لا تستطيع ان تحققها . فقال شرلوك اظنني وجدت وسيلة لتبرئة جيمس فهل يؤذَن لنا ان نزورهُ في سجنهِ . قال قد حصلت على اذن لك ولي فقط . فقال شرلوك اذاً لنذهب الآن بدون ابطاء . ثم نظر اليَّ وقال اتأسف انك ستبقى وحدك

ولكنني لا اغيب عنك اكثر من ساعتين . ولما خرجا سرت معهما الى المحطة ثم تركتهما يذهبان وتمشيت قليلاً ثم عدت الى الفندق فانطرحت على مقعدٍ واخذت كتاباً اقرأ فيهِ فوجدتهُ رواية فيها دسيسة غريبة تبين لي بعد تلاوتها انهُ كثيراً ما تغش الظواهر فانتبهت الى حادثـة ما كرثي وقلت لعل شرلوك مصيبٌ . فرميت الكتاب من يدي وعدت الى تمثل الحادثة منذ اولها فشعرت بقوة اقتناع باطن يدلني على برآءة جيمس فاني تصورت ان الولد لما فارق اباهُ اتى القاتل فأتمّ فعلتهُ قبل عودة الولد ثانيةً . واذ ذاك قرعت الجرس فجآء الخادم فطلبت منهُ جريدة المسآء وجعلت اقرأ ما كُتب عن تلك الحادثة بتدبر . فوجدت في التقرير الطبي ان الثلث الايسر من العظم الخلفي من الجمجمة وُجد مكسوراً بضربة اداة غير حادَّة فظهر لي ان هذه الضربة لا يمكن الا ان تكون قد اتت من الورآء وهذا يؤيد قول الابن انهُ ليس الفاعل لان الشهود قالوا انهما كانا يتخاصمان وجهاً لوجه وعزمت ان انبه شرلوك الى ذلك . ثم افتكرت في لفظة جرذ التي سُمعت من فم المقتول وهي لا يمكن ان تكون عن هذيان منهُ فان الموت الفجآئي بعد ضربة كهذه لا يحدث هذياناً بل لا بد ان تشير الى شيء اراد القتيل ان يوضحهُ ولم يستطع . وكذا ما ذكرهُ الولد من امر السترة الرمادية اللون التي رآها ثم اختفت فانها لا بد ان تكون للقاتل وقد سقطت منهُ وانهُ رجع فاخذها حين جثا الولد عند جثة ابيهِ . واذ ذاك انحزت الى فكر شرلوك وشعرت بما يوحي اليَّ برآءة الولد

ولما عاد شرلوك استقبلتهُ بشوق وسألتهُ عما فعل فقال كنت اود ان ازور مكان الجناية قبل ان ينزل المطر ويغير هيئة الارض ولكن فحص تلك الجهة يقتضي صفآء بال وراحة لم نحصل عليهما في سفرنا هذا فسأبقي ذلك الى الغد . اما السجين فلم استطع ان اعلم منهُ شيئاً سوى انهُ سليم القلب طيب السريرة وانهُ لا يمكن ان يكون هو القاتل . وكنت قد لمتهُ لعدم رغبتهِ في الاقتران بالفتاة مس ترنر ولكنني علمت ان لرفضهِ سبباً مؤثراً جدًّا فهو يحبها حبًّا لا حبَّ بعدهُ ولكنها في الخمس سنوات الاخيرة غابت عنهُ وقضت ذلك الوقت في مدرسة بعيدة واتفق انهُ ذهب

مرة الى بر يستول فعلق حبّ غانية هناك وتزوجها سرًّا فلم يعد في وسعهِ ان يقترن بابنة ترنر ولا امكنهُ ان يبوح بما فعل وهذا هو السبب في خصامهِ مع والدهِ فان اباهُ كان يريد ان يجبرهُ على خطبة ابنة ترنر ولم يقبل لهُ في الامتناع عذراً . وكان الولد يعيش من مال ابيهِ وقد رأى من الجهة الواحدة ان اباهُ قاسٍ شرس اذا خالفهُ استوجب لعنتهُ وطردهُ واذا اعلمهُ بزواجهِ السري كانت العاقبة اشد صعوبةً . وان الثلاثة الايام التي غابها في بر يستول كان فيها عند زوجتهِ ولم يعرف والدهُ بذلك . غير ان الامر المهم في هذه القصة والخبر الذي نجم عن الشر هو ان زوجة الولد لما قرأت في الجرائد ما اتهم بهِ زوجها وانهُ سيحكم عليهِ بالاعدام نبذتهُ بتاتاً وكتبت اليهِ تقول انها متزوجة بغيرهِ ولا يزال زوجها حيًّا في برمودة وانها لا تعترف بوجود علاقة بينها وبينهُ . ولا ريب ان هذا الخبر سبب للولد شيئاً من التعزية بعد المصاب الذي هو فيهِ . ثم اذا ثبتت برآءة جيمس فلا بد من وجود قاتل ولمعرفتهِ لنا دليلان اولهما ان القتيل كان ينتظر مقابلة شخص عند البحيرة ولا يمكن ان يكون المنتظر ابنهُ لانهُ كان في بر يستول ولم يُعرف وقت رجوعهِ . والثاني ان القتيل اعطى علامة بالصفير وهو لا يعلم ان ابنهُ قد عاد من سفرهِ . وهذان الامران يستوجبان مزيد التبصر على دعةٍ وراحة بال فهلمّ الآن للنوم وسنرى ما يأتينا بهِ الصباح

وفي اليوم الثاني جآءنا المفتش لستراید بمركبة اقلتنا لزيارة مزرعة هاذرلي وبحيرة بوسكومب وبينما نحن نقطع تلك المسافة قال لستراید بلغني اليوم بعض اخبار مهمة وهي ان المستر ترنر على شفا خطر وقد يأس الطبيب منهُ . نعم انهُ لا يتجاوز الستين من عمرهِ ولكنهُ انفق قواهُ في الاغتراب واضناهُ العمل وقد علمت انهُ منذ اول حياتهِ كان صديقاً حميماً للقتيل ماكرثي ومحسناً اليهِ حتى انهُ اقطعهُ مزرعة هاذرلي يستغلّها بدون مقابل وساعدهُ في عدة طرق اخرى كما يعلم الجميع هنا . فقال شرلوك حقًّا ان هذه الاخبار لا تخلو من الفائدة لانهُ من الغريب ان ماكرثي مع عدم امتلاكهِ شيئاً ووقوعهِ تحت منة واحسان ترنر لا يزال يؤمل ان يزوج ابنهُ

بابنة ذلك المثري وهي الوارثة الوحيدة لاملاك ابيها وذلك مع علمهِ بان ترنر نفسهُ غير راضٍ بهذا الرأي فلا بد من استنتاج شيءٍ من ذلك . فتبسم لستراید وقال اراك قد عدت الى الاستنتاج والمفروضات اما انا فقد استنتجت شيئاً واحداً وهو ان جيمس ماكرثي قتل اباهُ والسلام . و بلغنا مزرعة هاذرلي فدخلنا منزل ماكرثي وشرلوك امامنا يتفقد كل شيء ثم طلب من الخادمة فاحضرت لهُ الحذآء الذي كان يلبسهُ القتيل ثم حذآء الابن فاخذ قياسهما من عدة اوجه ثم انتقل بنا الى الحديقة وسرنا جميعنا في الطريق المؤدية الى البحيرة . وكان منظر شرلوك حينئذٍ غريباً كعادتهِ اذا كان لديهِ امرٌ مهمّ فكان كلهُ عيوناً وآذاناً تارةً يسرع وطوراً يسير الهوينى واحياناً يترك الطريق ويذهب مسافة الى اليمين او الى الشمال وكنت ولستراید نتبعهُ بسكوت كما يتبع الصياد كلبهُ الى مكامن الصيد حتى بلغنا البحيرة وكانت واقعة في منتصف المسافة بين مزرعة هاذرلي ومنزل المستر ترنر وكانت الارض لينة التربة وعليها آثار اقدام فرأيت محل سقوط القتيل وعلمت ان شرلوك يرى اشياء اخرى نجهلها نحن. ثم رأيتهُ قد اخذ منظارهُ وانطرح على الارض فجعل يفحص آثار الخطى ويتنقل من مكان الى آخر وجعل يكلم نفسهُ فيقول هذه آثار جيمس ماكرثي فقد اتى مرتين ماشياً ومرةً راكضاً بسرعة . انهُ محقّ في اقرارهِ فانهُ ركض لما رأى والدهُ قتيلاً . وهذه آثار اقدام الاب يسير ذهاباً وايابا . وهذا اثر خشب البندقية التي اسندها الولد الى الارض حين كان يكلم اباهُ . وهذه آثار اخرى غريبة وقد مشى صاحبها على رؤوس اصابعهِ ولها هيئة غير عادية وهي قادمة ثم راجعة ثم قادمة ايضاً فهي بدون شك آثار الشخص الذي قدم ليأخذ السترة الرمادية . ولكن من اين اتت . ثم رأيناهُ نهض وجعل يسير من جهة الى اخرى تارةً يتفقد الآثار وطوراً يعود اليها حتى انتهينا جميعنا الى طرف الغابة وكان بقربها شجرة كبيرة فانطرح شرلوك بجانبها وقرأت على وجههِ علامات الاقتناع بما رأى وكان يفحص بمنظارهِ الاحجار والاعتاب وقشر الشجرة ايضاً . ثم اخذ شيئاً ظننتهُ من تراب الارض فوضعهُ في ورقة في جيبهِ ولما انتهى سار

بنا ثانيةً حتى بلغنا الطريق فقال حقًّا ان هذه الجناية من الغرابة بمكان و يغلب على ظني ان هذا البيت الكائن امامنا هو بيت موران ناظر الاملاك فاودّ ان اقابل هذا الرجل وربما اكتب عندهُ رسالة فاذهبا وانتظراني الى ان اعود فنذهب معاً لتناول الطعام . و بعد نحو عشر دقائق عاد الينا فركبنا العربة ورجعنا . وكان شرلوك قد التقط من الغابة حجراً كبيراً لا يزال في يدهِ فقدمهُ الى لستراید وقال هل علمت ان الجناية حصلت بهـذا الحجر . فقال لستراید مستغرباً كيف علمت ذلك وليس عليهِ اثر . قال التقطتهُ من حيث وُضع من بضعة ايام فقط بدليل ان النبات كان نامياً تحتهُ ولم يبن المحل الذي أُخذ منهُ فقد أتي بهِ من مكان ابعد . ثم ان حالة الكسر في الجمجمة لا بدّ ان تكون بمثل هذا الحجر وقد عُلم انهُ لم يكن بسلاح حاد . فقال لستراید هازئاً اذا كنت قد تحققت ذلك فلا بد ان تكون قد عرفت القاتل . قال ساعرفهُ قريباً بعلاماتهِ فانهُ طويل القامة اعسر اليدين يظلع من ساقهِ اليمنى و يلبس حذاء صيد ثقيلاً وسترة رمادية ويدخن من التبغ الهندي ويجعل لفافتهُ في فم مستعار ومعهُ سكين غير حاد ولهُ علامات اخر غير ان هذه كافية . واراك يا لستراید تضحك من كلامي فلا بأس انهُ لا يعوقك عن الاستمرار على طريقتك فدعني اتمُّ عملي . اما انا فساكون في شاغلٍ بقية هذا اليوم وربما ارجع الى لندن في المساء . فقال لستراید وهل تذهب قبل ان تتمم عملك . قال قد تممتهُ . قال والسرّ . قال قد اوضحتهُ . قال والقاتل . قال قد وصفتهُ وصار من السهل العثور عليهِ لان السكان هنا قليلون . ولما قال هذا ودّع لستراید امام منزلهِ و بقيت واياهُ في العربة الى ان بلغنا الفندق وكان الطعام على المائدة . فنظر اليَّ شرلوك وعلامات الاهتمام على وجههِ وقال انني يا وطسن في حيرة عظيمة وقد عرفت اشياء كثيرة ولكنهُ لا يزال ينقصني شيء فتعال نعيد هذه الحكاية عسى ان يُفتح علينا بكشف المستور منها . قرَّر الولد ان اباهُ كلمهُ قبل موتهِ كلاماً لم يفهم منهُ سوى كلمة جرذ ثم انهُ سمع الصفير وقد اعطانا نغمتهُ وهي غير مستعملة الاّ في استراليا ولا يمكن ان يكون القتيل قد اعطى تلك العلامة لابنهِ وهو يعتقد

انهُ لا يزال في بر يستول بل ان وجود الولد هناك كان اتفاقاً فلا بد ان الرجل الذي كان ما كرثي ينتظر مقابلتهُ هو رفيقٌ قديم لهُ من استراليا . اما كلمة جرذ فقد احضرت خريطة مستعمرة ڤكتوريا باستراليا وهي التي كان فيها الرجلان ترنر وما كرثي وقرأت اسمآء تلك البلاد فوجدت اسم بلدة صغيرة تدعى مارجرذ فكأن القتيل اراد ان يخبر ابنهُ بان قاتلهُ فلان من مارجرذ فلم يستطع الايضاح ولم يفهم الولد منهُ سوى الجزء الاخير من الكلمة . واذا صدقنا قول الولد انهُ رأى السترة الرمادية تحققنا ان القاتل رجل من مارجرذ باستراليا يلبس سترة رمادية ويقيم في هذه الناحية لان البحيرة واقعة في املاك ترنر فلا يقترب منها غريب . وقد عرفت ان الرجل طويل القامة من قياس مسافة خطواتهِ ونظرت في آثارها ما دلني على غرابة حذآئهِ وعلى انهُ يظلع من احدى ساقيهِ بدليل ظهور الاثر الواحد اكثر من الآخر . وقد ظهر لي انهُ ضرب ضربتهُ القاضية من ورآء القتيل وانهُ ضربهُ باليد اليسرى فان هيئة الضربة ومحل وقعها من رأسهِ يدلان على ذلك . وقد تحققت انهُ عند ما كان يتخاصم ما كرثي وابنهُ كان القاتل مختفياً ورآء النبات المحيط بالبحيرة يسمع كل كلمة وقد دخَّن هناك ايضاً بدليل ما رأيت من الرماد الذي عرفتهُ انهُ رماد التبغ الهندي . وقد بحثت في تلك الجهة حتى عثرت على عقب اللفافة فوجدت حزري في محلهِ وانها صنع روتردام ثم عرفت من عقبها انهُ لم يدخنها بفمهِ رأساً بل بواسطة فم مستعار وعلمت من هيئة قطعها انها مقطوعة بسكين غير حادّ . فلم اتمالك ان اظهرت مزيد العجب وقلت لهُ لله درك يا شرلوك انك جعلت القاتل محاطاً بالبراهين الدامغة فهيهات ان ينجو ولكن مَن هو . وقبل ان يجيبني شرلوك فُتح باب الغرفة ودخل الخادم يقول ان المستر جون ترنر يود مقابلتنا ودخل بعدهُ الزائر فرأيناهُ طويل القامة يعرج قليلاً ومع ضعفهِ تدل هيئتهُ على قوةٍ جسدية وصلابة في الرأي . اما لونهُ فكان مبيضًّا مائلاً الى لون الرماد فعلمت للحال انهُ مريض باحد الامراض التي لا يرجى لها شفآء . وحالما دخل نهض شرلوك لاستقبالهِ وقدم لهُ كرسيًّا وقال هل وصلت اليك رسالتي يا سيدي . فقال الرجل نعم فقد اوصلها اليَّ

ناظر الاملاك واراك تقول فيها انك تود مقابلتي هنـا لمنع تقولات الناس . فقال شرلوك نعم انني لم اشأ ان اذهب الى منزلك لئلا يظن احد سوءًا . فقال ترنر حسن وماذا تريد من مقابلتي . وكأنهُ قرأ في نظرات شرلوك جوابهُ فارتعش جسمهُ ثم ستر وجههُ بيدهِ وقال ارحمني يا الله . نعم انا قاتل ماكرثي فلا فائدة من الانكار امام شرلوك هولمز . ولكنني لم اكن اود ان يصاب ابنهُ باقل ضرر ولو حُكم عليهِ نهـائيًّا لاعترفت امام القضاة ببرآءتهِ بل كنت اكون اعترفت منذ البدآءة لولا خوفي من كسر قلب ابنتي فانها ربما تموت اذا سمعت انهم القوا القبض عليَّ . انني رجل مريض والطبيب اكَّد لي انني لا اعيش اكثر من بضعة ايام فقط فانا اودّ ان اموت في منزلي لا في السجن . فقال شرلوك انا لست من رجال الشحنة لالقي القبض عليك ولكن ابنتك استدعتني من لندن لتخليص جيمس ماكرثي اعتقاداً منها انهُ بريء وقد ثبت ذلك فمن الواجب ان ننقذهُ . ولما قال ذلك نهض فاحضر ورقاً وقلماً وفهم المستر ترنر غرضهُ فقال لهُ ربما لا اعيش الى وقت المحاكمة فاكتب ما امليهِ عليك من اعترافي الصحيح وسأوقّع عليهِ ويشهد عليَّ صاحبك هذا وانت ثم اسلّم ذلك الى مروءتك فافعل بهِ ما تشآء بشرط ان لا تكسر قلب ابنتي وان لا يُضرّ ابن ماكرثي بسببي . ثم املى عليهِ ما يأتي

« ان القتيل ماكرثي شيطان في صورة انسان وقد القى يدهُ عليَّ منذ عشرين سنة فجعل حياتي في مرارة دائمة وشقآء

» ذهبت منذ حداثتي الى استراليا وكنت جسوراً قويًّا فاشتغلت في مناجم الذهب وما عتمت ان فسدت اخلاقي بعشرة من هناك من العمال فانحزت الى المسكر والميسر وانتهيت بان صرت من قطاع الطرق مع خمسة غيري جعلوني رئيسهم فكنا نسلب البريد ونغزو المحطات حتى اشتهر امرنا ودعوني من ذلك الحين جاك الاسود المارجرذي . واتصل بنا يوماً ان مبلغاً من الذهب سينقل من مارجرذ الى ملبورن فكمنّا كعادتنا وكانت ستة فرسان تحرس المركبة فهجمنا وقتلنا اربعة منهم باول طلق ثم اشتد الكفاح بيننا فقتل ثلاثة من رفاقي قبل ان استولينا

على الغنيمة . وبقي سائق العربة فوضعت غدارتي في رأسهِ ويا ليتني قتلتهُ في تلك الساعة ولكنهُ طلب الامان فابقيت عليهِ وهو ذلك اللعين ماكرثي . ولما اخذنا الغنيمة تركنا تلك الديار وانفصلت عن رفيقي فجئت موطني وابتعت هذه الاملاك وبدأت اعيش عيشة سكينةٍ احاول فيها ان اكفّر عن سيئاتي الماضية . ثم تزوجت وتوفيت زوجتي عن ابنة كانت منذ طفوليتها تقودني الى الطريق السويّ واوكد للعالم اجمع بضمير صالح انني بدأت حياةً جديدة تكفّر حقيقةً عن الماضية الى ان تبعني ذلك اللعين ماكرثي فوضع يدهُ على عنقي . اما ملاقاتهُ لي فكانت انني ذهبت الى لندن لقضآء اشغالٍ لي فرأيت هذا الرجل امامي وعرفني للحال فوضع يدهُ على كتفي وقال مرحباً يا جاك فقد وجدتك وانا في احتياج اليك وستجدني خفيفاً عليك اذ ليس لي سوى ولد واروم ان نصرف بقية حياتنا في ضيافتك . ولما رأيت الرجل وانا اعرف شرهُ علمت انهُ لا يمكنني صدّهُ فاحضرتهُ وولدهُ الى هنا واسكنتهُ مزرعة هاذرلي مجاناً . ومن ذلك الحين لم اعد امتلك راحةً ولا دعةً لانني حيثما ذهبت ومهما فعلت ارى وجههُ المشؤوم ينظر اليَّ متهدداً متوعداً . ثم كبرت ابنتي فصرت اخاف انها تعلم ماضي سيرتي اكثر مما اخاف من الشرطة ورأى ماكرثي ضعفي فكان لا يفتر عن طلب الاموال والبنايات والاراضي وانا لا امنعهُ شيئاً حتى طلب اخيراً ابنتي فلم استطع ان اسمح لهُ بها . انني احب ابنهُ واعتبرهُ ولعلمي بأن أجلي قد اصبح قريباً فاني اود ان يكون جيمس وأليس صاحبي هذا الارث من بعدي ولكنني لا اريد ان يكون اللعين ماكرثي قيماً عليهما فيخرب كل ما بنيت . ولما الحَّ عليَّ ورفضت وتوعدني فلم اقبل اتفقنا على ان نتلاقى في ذلك اليوم امام البحيرة ونتفاوض في الامر . فلما صرت الى المكان المعين سمعتهُ يتكلم مع ابنهِ فاشعلت لفافة وانتظرت ورآء الشجرة الكبيرة الى أن يذهب ابنهُ ولكنني سمعت كلامهُ فاعاد ذلك اليَّ طبيعتي الاولى وأثار روح الشر التي كنت اظنها قد خمدت فيَّ عند ما سمعتهُ يلح على ابنهِ في الاقتران بابنتي لغايتهِ فقط سوآء أحبها أم لم يحبها فكدت أجنّ عند ما تصورت اني أنا وما أملك بل وأعز شيء عندي رهن

ارادة ذلك الوغد . وعلمت اني قد شارفت نهاية ايامي وانني على كل حال مائت فعزمت ان أتخلص وأخلص العالم من هذا الشرير بل أن أوجد لابنتي راحةً دائمة اذا تمكنت من اخماد أنفاسهِ الى الابد . ولما صممت على ذلك يا مستر شرلوك فعلتهُ . نعم وانني افعلهُ الآن وفي كل دقيقة مهما كان الجزآء لانني افضل ان أرى رأسي على النطع ولا أرى ابنتي ايضاً في قبضة هذا الخبيث . فلما ابتعد ابنهُ اخذت حجراً وتقدمت من ورآئهِ فضربتهُ ضربة شديدة كما تضرب الافعى السامة لتتخلص من شرها ولما صرخ خفت ان يرجع ابنهُ فهربت الى ورآء الشجر وسقطت سترتي فعدت وأخذتها حين كان الولد منحنياً قرب ابيهِ . هذه هي الحقيقة وهذا اقراري امام الديان الذي سأقابلهُ عن قريب »

ولما انتهى اخذ القلم فوقّع اسمهُ بيد ثابتة . فقال لهُ شرلوك ليس لي أن أدينك ولكنني أسأل الله أن لا يدخلنا في تجربة كهذه . انني سأحفظ اقرارك هذا الآن وبما انك تعلم انك ستصير عن قريب الى امام المحكمة العليا فساكتم امرهُ الاّ اذا حُكم على جيمس ماكرثي واما اذا حُكم ببرآءتهِ فانا اعدك أن لا يرى أحد هذا الاقرار واذا بقيتَ حيًّا او لا فهو محفوظ بامان عندي . فقال ترنر اذاً أستودعكما الله وأسألهُ أن يهبكما عند انطراحكما على سرير الموت ان تكون أفكاركما الاخيرة أفكار سلام وهنآء . ثم خرج من الغرفة وهو يرتعش ويضطرب

ولما عُقدت المحكمة قررت برآءة جيمس ماكرثي بناءً على ادلة كثيرة دامغة قدمها شرلوك هولمز لم يستطع احد ان ينقضها ولم يذكر فيها شيئاً عن القاتل الحقيقي . اما ترنر فمات بعد تلك الحادثة بسبعة اشهر ولما انقضت مدة الحداد اقترنت اليس ترنر بجيمس ماكرثي واصبحا صاحبي كل تلك الاملاك فعاشا عيشةً سعيدة وهنيئة ولم يعلما شيئاً من سابق سيرة والديهما وأعمالهما وكان الفضل في ذلك كلهِ لحذق شرلوك هولمز ومهارتهِ